

## حول قضية « البيان العاجل »

كان للبيان المشترك الذي أصدره أدباء عرب ويهود في الأرض المحتلة - الاتحاد ٧ - ٦ - ٧٤ ، والذي يفهم منه مساواة للإرهاب الصهيوني بالمقاومة الفلسطينية ، صدى كبير . إذ أنه فتح أبواب النقاش واسعة في موضوع الأدب الفلسطيني . ثم كان لتراجع أدباء الأرض المحتلة عن هذا البيان ، بعض الترحيب . غير أن الشكل الذي بدأ يأخذه النقاش بعد مقال محمود درويش السياسي « أدباء المقاومة ضد المقاومة » - المحرر ٢٥ - ٧ - ٧٤ - والذي حاول فيه طرح المسألة بشكل سياسي وموضوعي هادئ ، قد تحول من نقاش سياسي إلى نقاش بلا هدف ، وخاصة في الرد الشخصي الذي كتبه أحد الموقعين على البيان في الأرض المحتلة في جريدة « النجر » . ومن موقع العرص على أدبنا الفلسطيني ، وثقافتنا الثورية ، فإننا نشير إلى ثلاث ملاحظات :

أولاً : لقد كان للأدب القادم من ظلام الاحتلال الإسرائيلي ، إيقاع البشارة بالنسبة لنا . فهذا الجزء من شعبنا ، الذي يعيش داخل الغيتو القمعي الإسرائيلي ، ينتفض ، ويرفع صوته ، ويقاوم . وكان ترحيبنا ، بينهم ظروف هذا الأدب ومبلغ معاناته . لذلك ، لم تكن لنتالبيه فنياً وسياسياً بكثير مما يستطيعه ، أو بكثير مما يسمح له الواقع الموضوعي الذي يعيش في ظلاله . ويبقى هذا الأدب ، جزءاً من تراثنا النضالي ، الذي يجب أن نحافظ عليه وندعمه ونهيبه له أفضل الظروف التي نستطيعها . إن هذا الموضوع البيدي ، لا يمكن أن يخضع لأي نقاش . لكن هذا لا يعني حصانة مطلقة ، لا نخال احداً يطلبها . فهذا الأدب هو جزء من كل ، ويحق للأجزاء والأفراد ، النقاش سياسياً حول مسائل قد تبدو خاطئة ، أو قد تكون خاطئة فعلاً ، كما في البيان الأول الذي نشرته - الاتحاد - . إن البقاء داخل الأرض المحتلة ، رغم العسف والاضطهاد ، هو أمر مشرف ونضالي . لكن الإقامة خارجها ، ليست عاراً ولا

عبئاً . فلقد فرضت هذه الإقامة على أكثرية شعبنا ، وفورتنا تنطلق من الخارج . لا حصانة لاحد - لأسباب جغرافية - ولكن للجميع حصانة شرف الكلمة التي تناضل في الخارج وفي الداخل معا . إن جدارة الأدب الفلسطيني تحدد بالتزامه بحركة الشعب الفلسطيني وثورته .

ثانياً : إن الحوار الديمقراطي ، هو ميزة المناضل بالبنديكية والكلمة . فالتعدد لا يعني تبعثراً ، بل يعني أننا أعضاء في جسد سليم ، تدور فيه فصول الحياة ، وتشرق عليه شمسها . لذلك يستطيع هذا الجسد تقويم أخطائه . غير أن للحوار الديمقراطي ، شروطاً لا يمكن التخلي عنها . فيجب أن تتجاوز الإتاقيات الفردية لتصل فعلاً إلى قدرة على المخاطبة والرجوع عن الخطأ . لكن هذا الحوار ، لا يمكن أن يجري ، إلا بلغة حملت دماء شعبنا طويلاً ولا تزال تحمله . فاللغة الثورية المناضلة ، لا تتخلى عن الدماء وتلتهى بحبر مسموم وسطحي . ومن هذه الزاوية نرى من الواجب أن نستنكر الأسلوب الذي رد به أحد شعراء الأرض المحتلة على زملائه في الخارج ، فنزل بالنقاش من المستوى الفكري إلى المستوى الشخصي .

ثالثاً : إن للكلمة إيقاعاً نضالياً لا يمكن أن نتخلى عنه أو نفرط به . الكلمة سلاح من أجل المستقبل ، وليست في أيدي ثقافتنا الفلسطينية سوطاً قمعياً . لذلك فإن للنقاش بالكلمة شروطاً أولها التواضع الذي نتلقاه درساً ، من أبناء شعبنا ، الذين يسجلون أروع لحظات تاريخنا في عرس دموي ومجاني ، وبلا شروط سوى الوصول إلى جسد الوطن .

إن النقاش السياسي والثقافي ، ضروري وفعال . شرط أن لا ينزلق إلى مواقع السائد القمعي .

لا تريد هذه الملاحظات سوى أن ترفع صوتاً ، يؤكد الحقائق التي اصطحنا عليها بالممارسة . فتثقافتنا الثورية هي رؤياً ومستقبل : رؤياً لسلام تصنعه الجهادية الثورية المقاتلة ، ومستقبل ثقافي نصل فيه إلى القدرة على التعبير عن أنفسنا بلغة جديدة . تفصل بقع الظلام عن الأفق .